المجـــر والنمسا

❀ جوهرة الدانوب الأحمـــــر

❀ إمبراطورية صنعتها الأوبرا

جوهرة الدانوب الأحمر!

أسباب كثيرة تجعلنى أربط بين مصر والمجر فمصر مطمع الغزاة عبر التاريخ من الهكسوس للإنجليز، والمجر عانت من الاستعمار التركى والتتارى والروسى والنمساوى والألمانى. ومصر هبة النيل والمجر هبة الدانوب، ومصر تحاول الآن أن تستعيد عافيتها الاقتصادية والمجر تجاهد من عام ١٩٩٠ للحاق بدول العالم خاصة الأوروبى بعد فترة حكم شيوعى جعل شوارعها باهتة والبيوت شاحبة والخضرة تشبه لون الرماد، ثم إن سن الزواج فى المجر أيضا ٢٥ سنة رغم أنها دولة أوروبية وعلى الوالد أن يدفع لابنه المهر وثمن الجهاز والشقة!!

وهل يتصور أحد أن المجر الأوروبية التى أنجبت الثلاثة الموسيقيين الكبار فرانزليست، وبيلا بارتوك، وزولتان كوداى تصدم زائريها فى أول رؤية لأرض مطار عاصمتها بودابيست، حيث يقف ضابط متجهم القسمات ليفتش على جوازات سفر الزائرين!! مع أن الشيوعية المجرية قد انتحرت. فى هذا البلد الأوروبى الجميل الرقيق الحالم الطائر على جناح أجمل موسيقات الدنيا وأرقها موسيقى فرانزليست وفولكلور المجر العالى الذى صاغه. بعلم وفن فرانزليست مع بارتوك.

بودابيست أو جوهرة الدانوب تتكون من جزءين الأول على تلال عالية تطل على نهر الدانوب وهى «بودا» وقد بنيت منذ ٧ قرون والثانى هو «بشت» على الضفة الأخرى للنهر الشهير وقد بنيت منذ ألف عام، ويمكن للزائر أن يراها فى بانوراما كاملة من فوق قلعة بناها الأتراك أثناء استعمارهم للمجر فى «بودا» منذ عام ١٢٤١ ولمدة ٤٠٠ سنة.

فى بودا يعيش يهود المجر وهم أقلية يشكل عددهم ١٠٪ من عدد السكان البالغ ١٠,٥ مليون نسمة بينما الأغلبية من الروم الكاثوليك ٦٥٪ والبروتستانت ٢٥٪.

و «بودا» ٥ شوارع كبيرة فقط، وكانت مليئة بالقلاع التركية ثم دمرها الجيش عند استرداده للمدينة من الأتراك عام ١٦٨٦.

أوركسترا الكنيسة

ومن أهم الآثار الموجودة فى «بودا» كنيسة ماثيوس وقد بناها ملك مجرى يحمل هذا الاسم بمناسبة زواج ابنته، ثم استخدمها الأتراك كمسجد، ثم تحولت بعد طردهم إلى مدارس للجزويت.

حضرت فى هذه الكنيسة قداس الأحد، وقد ظهرت فيه آثار الموسيقى الكلاسيكية فى المجر فالكنائس تعتمد عادة فى تراتيلها على آلة الأورغن لقرب أصواتها من الروح الدينية، والكورال فى كنيسة ماثيوس كبير العدد قوى الأصوات يصاحبه أوركسترا كامل العدد، يقوده مايسترو يقف فى شرفة مرتفعة داخل بهو الكنيسة العتيقة.

وأوربا الغربية ابتدعت «فن الشوارع» فى فصول الصيف، فيعزفون أمام المارة أو الجالسين على المقاهى المتراصة على شواطئ مدن الريفيرا الفرنسية، وفى وسط المدن فى ليالى نهاية الأسبوع.. والآلات المستخدمة دائما فردية ومن فصيلة الآلات ذات الصوت القوى، مثل آلات النفخ والإيقاع أما فى المجر، فإن «فن الشارع» رومانسى جميل، وأغلبه يقدم عزفا رومانسيا على آلة الكمان، أو مجموعة من الآلات الوترية «الكمان» و«التشيللو» «والكونترباص».

القانون المجرى

ويظهر فى الشارع المجرى آلة «السمبالون».. وتعتمد على فكرة آلة البيانو فتمتد الأوتار وعددها حوالى ٦٠ وترا كل واحد منها من ٤ فتلات من السلك الصلب، على صندوق مصوت يشبه صندوق آلة القانون الشرقية، وينبر عليها العازف من خلال مضربين لهما رأسان من الفيللين مستخدما إحدى رجليه فى بدال وضع للتغيير الطبقة الصوتية وقت اللزوم.

هذه الآلة بها أشكال بسيطة شعبية فى حجم صندوق ماسح الأحذية – ومعذرة للتشبيه – تصدر أصواتا رقيقة عذبة (أما فى وسط المدينة فتتبارى المدارس والجامعات فى تقديم عروض صيفية تشترك فيها فرق موسيقية كبيرة العدد وتقدم كل ألوان الموسيقى للجمهور فى الشارع.

أسست القبائل المجرية دولتهم عام ٨٩٦م على سهول وبرارى رومانسية وبنوا بها مدنا لها أسوار عالية مثل مدينة «شوبرون» و «كوسيبح» وهما مدينتان تظهر فيهما الحصون التركية القديمة.

أما مدينة بودابيست فقد توحدت بعد دمج مدينتى بودا وبيشت فى مدينة واحدة عام ١٩٢٣ يشقها نهر الدانوب ومن معالم المجر، كاتدرائية ياك، وقصر إيسترهازى فى مدينة «فيرتوود» وهو من الطراز الركوكى، كذلك قاعة مجلس مدينة «كتشكميت» ذات طراز الفن الحديث.

ومبنى البرلمان المجرى من المعالم الأوروبية النادرة أعلنت ذلك هيئة اليونسيف عام ١٩٨٧ ولم تعتبره مبنى سياسيا إنما اعتبرته واحدا من الآثار الأوروبية والمبنى هو مقر للحاكم وهو رئيس الجمهورية المجرية وهو تحفة فنية من الخارج والداخل يوضع أمامه تمثالان أحدهما لفرانك راكوتش على حصانه وهو البطل الذى حارب نظام هابسبرج الفاسد عام ١٧٠٣، والثانى

إيجوس كوسيوس الذى أبلى بلاء حسنا فى محاربة النظام نفسه عام ١٨٤٩.

وعلى الحافة العليا لمبنى البرلمان يقام ٩٩ تمثالا لأبطال مجريين حاربوا من أجل حرية المجر، أما داخل المبنى فتنتشر تماثيل للجنود والفلاحين والصيادين والفنانين.

الدانوب الأحمر

ويمتد نهر الدانوب من ألمانيا فالنمسا فالمجر ثم سلوفاكيا ثم الصرب ومنغوليا وينتهى فى رومانيا، وربما يكون أضيق أشكاله فى النمسا لكنه عريض فى المجر، خاصة عند جزيرة «مارجريت».

وإذا كان الموسيقار النمساوى الرقيق شتراوس قد خلد الدانوب النمساوى بالفالس الشهير ووصفه بالأزرق فإن هذا اللون لا يراه الزائرون لفيينا فهو نهر صغير ضيق تشوشر عليه الأشجار والنباتات والكبارى الصغيرة، أما الدانوب المجرى فهو الدانوب الأحمر، وربما ترجع حمرته إلى الإهمال الذى لاقاه النهر الجميل منذ الحرب العالمية الثانية، حيث عاش تحت نير حكم شمولى لا يهتم به كمصدر للجمال والرومانسية إنما كوسيلة للمواصلات ولنقل البضائع اللازمة للمصانع، ومع ذلك فإن «الدانوب الأحمر» هو معبود المجريين، وأيضا زوارهم وقد رصفوا شاطئيه بالسلالم الرخامية وبنوا عليه عددا من الكبارى التى تعتبر تحفا معمارية وفنية وهى متينة يجرى فوقها كل أنواع المواصلات الموجودة فى المدينة من ترام إلى أتوبيس إلى السيارات والمركبات والحافلات وقد اعتبرت هيئة اليونسكو أحد هذه الكبارى المبنى أمام قلعة بودا مبنى أثريا وأحد الملامح البارزة للمدينة.

وجزيرة مارجريت القريبة من مبنى البرلمان وكوبرى بودا، سميت على اسم ابنه الملك بيلا الرابع عام ١٢٣٥ قضت فيه كل حياتها والجزيرة تبلغ مساحتها كيلومترا مربعا تملؤها الأشجار العالية والنجيلة وبها حمامات للسباحة وعدة فنادق وحدائق للأطفال وهى مرتع للعشاق ومحبى الخضرة والماء والهواء والوجه الحسن.

ومعظم سيدات المجر رشيقات، جميلات لكن تاريخهن الحديث قضى على آثار الأنوثة فيهن، أما الشباب فيتزوج فى سن الخامسة والعشرين، وحينئذ فعلى الأب أن يساعد ابنه العريس بقيمة المهر وثمن الشقة وعفشها، وربما إيجار السيارة المزينة التى تزف العروسين فى شوارع بوادبيست ويخرج من شبابيكها حسناوات فى سن الزهور أجزاء كبيرة من أجسادهن لإعلان الزواج على الملأ.

نجوم عالميون

من النجوم المجرية الساطعة فى سماء عالم الموسيقى، فرانزليست المولود ١٨١١ والمتوفى ١٨٨٦، ومبتدع قالب القصيد السيمفونى المعتمد على قوالب موسيقية حرة لكنها بلا قواعد محسوبة وله منها ٧ قصائد، أبوه مجرى وأمه نمساوية بدأت شهرته فى سن التاسعة وله بصمته فى التأليف الموسيقى والعزف على البيانو، والفلسفة وقيادة الأوركسترا وتعليم الموسيقى فكان شعلة قومية مجرية .

وبيلا بارتوك، ألف كتابه الذى يتعلم منه كل المبتدئين فى دراسة الموسيقى فى مصر وغيرها وهو مولود فى إحدى قرى المجر التى أصبحت الآن ضمن الأراضى الرومانية عام ١٨٨١ وتوفى ١٩٤٥ أول مؤلفاته الموسيقية بعنوان «الدانوب» وقد تناول بالدراسة موسيقى فلاحى المجر والموسيقى الشعبية وألحان الفقراء والبسطاء ونشر ٢٠ أغنية مجرية

فولكلورية بمصاحبه البيانو، عين أستاذا للبيانو بالأكاديمية الملكية للموسيقى ببودابيست وألف دراسات عن الموسيقى الشعبية المجرية وكتب متتالية موسيقية عن توحيد «بودابيست» وعين بأكاديمية العلوم المجرية فأشرف على طبع أعداد مهولة من الأغانى الشعبية والموسيقى المجرية وطبق كل جديد فى علم الموسيقى ما يتناسب منه مع التيار القومى المجرى ولم يسمح بتطبيق علوم الهارمونى لتطمس روح فن بلاده فكان الموسيقى المجرى الأول الذى أخرج موسيقى بلاده إلى مجال الاهتمام العالمى.

ود. وزولتان كودای عالم ومرب وموسيقى ومؤلف ولد عام ١٨٢٠ فى مدينة كشكيميت وتوفى فى بوادبيست ١٩٦٧، جمع ١٥٠ أغنية مجرية شعبية ونشرها فى دراسة شعبية حصل بها على درجة الدكتوراه فى الفلسفة، عين أستاذا للنظريات الموسيقية بمعهد فوانزليست ثم أستاذا للتأليف ثم عضوا بلجنة تطوير مناهج تعليم الغناء بالمدارس كتب سوناتا لآلة التشيللو، جمع الأغانى الشعبية الخماسية المجرية أثناء الحرب العالمية الأولى، ثم عمل بالكتابة النقدية الموسيقية، نشر ٨ كتب لمناهج الغناء لثمانى مراحل دراسية.

إمبراطورية صنعتها الأوبرا!

النمسا والمجر، كانتا إمبراطورية واحدة . حضر إمبراطور المجر افتتاح دار أوبرا فيينا، وقدم ملاحظة للمهندس الذى بناها ثم رصد مليون فورنينت ذهب - العملة فى المجر - لبناء أوبرا مثيلة لها فى بودابيست، وتمنى لو تكون أحسن منها، هكذا جمعت الأوبرا بين شقين لإمبراطورية واحدة، وفرقتها الشيوعية بعد ذلك.

يأتى الدور القومى لبارتوك وكوداى فى الموسيقى المجرية، فى صراعهما لخلق نوع جديد من الموسيقى المجرية العالمية المتطورة بعد أن فقدت المجر ما يزيد على نصف مساحة أراضيها فى الحرب العالمية الأولى وكان الذوق هناك محصورا فى موسيقى برانر وفاجنر، وكانت الظروف الاقتصادية قاسية على الشعب المجرى خاصة الموسيقيين.. مما دفع عباقرة الموسيقى المجرية إلى ترك البلاد بحثا عن فرص العمل ومنهم قادة الأوركسترا أمثال «أناتال دوراتى» و «إيجين أورماندى» و «جورج شولتى». وقد أنشىء معهد لتعليم الموسيقى المجرية يحمل اسم زولتانى كوداى فى مدينة كيتشكميت ذات الشهرة العالمية.

أما فرانزليست فهو رمز الموسيقى المجرية، وتمثاله أمام مبنى أوبرا بودابيست.. والمعهد الدراسى الذى يحمل اسمه على بعد أمتار من دار الأوبرا وهى تحفة معمارية وفنية بنيت لتنافس أوبرا فيينا عاصمة النمسا.

إمبراطورية فى الأوبرا

وتكاد العاصمتان فيينا وبودابيست تكونان مدينة واحدة من حيث الطابع المعمارى الباروكى واتساع الشوارع. واللون الأخضر الذى يكسوها

وحتى كل أشكال الحياة مثل وسائل الاتصال وسائر الملامح العامة للمجتمعين: إلا أن الشارع المجرى يعانى الإرهاق والإهمال بينما يتمتع الشارع النمساوى بالصحة والعافية والحيوية والشباب والمرح مع أن المسافة بين العاصمتين لا تزيد على ٢٥٠ كيلومترا.. والسلطات الحاكمة للدولتين تسير فى اتجاه الاتفاق والاتحاد، مع أن النمسا قد انضمت إلى الاتحاد الأوروبى والمجر لم تنضم بعد إلا أن العلاقات الحدودية بين الدولتين سهلة. سلسة، فلا تأشيرات للدخول ولا رسوم خاصة بذلك غير التى تفرضها السلطات المجرية على عابرى الطريق الدولى.. لكن النمسا لم تفرض مثلها على الجزء الواقع فى أراضيها من نفس الطريق..

وأوبرا فيينا من أعرق دور الأوبرا فى العالم وقد بنيت عام ١٨٦٩ ولا تختلف كثيرا عن أوبرا بودابيست التى بنيت بعدها بسنوات لتنافسها.. على باب أوبرا فيينا تمثال للموسيقى النمساوى الطفل المعجزة موتسارت، مع أن النمسا قد قدمت للعالم من كبار الموسيقيين بتهوفن وشتراوس وعائلته، ومن هذه العائلة شانى أويوهان شتراوس الابن المولود فى فيينا عام ١٨٢٥ والمتوفى ١٨٩٩ وهو أعظم من لحن قوالب «الفالس» «والبولكا» «والمازموكا» و «الأوبريت» وقد ارتبطت موسيقاه بالنمسا وشعبها وطابع بلده التاريخى ويكفى فالس «الدانوب الأزرق» الذى خلد اسم النهر الأوروبى الكبير حتى أصبح يخيل لكثيرين أن الدانوب فى للنمسا فقط.

قرأت على باب أوبرا فيينا لوحة عليها برنامج الأوبرا طوال الموسم، وحول دار الأوبرا بفيينا عدد من التماثيل لكبار الموسيقيين النمساويين، وعلى حافة السطح زرعت عشرات التماثيل لأشهر مغنيى الأوبرا هناك.

وداخل المبنى يوجد بوفيه كبير لخدمة جمهورها فيقدم لهم المشروبات والوجبات السريعة، وكان مراتدز ملك المجر قد رصد مليون فورنينت ذهب – لتصميم أوبرا بودابيست بعد أن أن حضر افتتاح أوبرا فيينا وكانت

جميلة ذات ستائر وزخرفة واعتبرها البعض رفاهية بلا داع إنما لتضاهى أوبرا فيينا.

وبجوار مبنى الأوبرا بفيينا مبنى مسرح «كاستيل» وهو عريق، على حوائطه تماثيل منحوتة لأشهر نجوم المسرح النمساوى وعلى واجهته لوحة عليها برنامج شهر كامل للعروض المسرحية من ريبورتوار المسرح الشهير والعروض الحديثة المزمع تقديمها وأيضا توجد بعض الصور المعلقة من آخر المسرحيات المعروضة.

فيينا تعتبر متحفا مفتوحا للكنائس الباروكية مثل الموجودة فى شوارع بودابيست.

أما الفرق بين شوارع المدينتين فهو شباب المصريين الذين تخصصوا منذ ٢٠ سنة فى بيع الصحيفتين النمساويتين «كورير» و «كورونا»، وكنت واحدا منهم فى شبابى عام ١٩٧٤ عندما سافرت إلى النمسا لأعمل ببيع الصحف ليتسنى لى أن أدرس الألمانية والموسيقى. أما الشوارع المجرية فليس فيها من الأجانب إلا الألمان والأمريكان.

أما دار الأوبرا فى بودابيست فتقدم عروضها فى ست لغات هى المجرية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية، ولا تعتمد على اللغة المجرية إلا فى أضيق الحدود. ومعظم المجريين يتكلمون الإنجليزية مع لغتهم. وقلة فى الريف المجرى يتكلمون اللغة المجرية الدارجة «بالوتس» ويعيشون فى قرى غنية بتراثها وغنية بفولكلورها وتقاليدها وتحمل أجمل ما يتميز به الفولكلور المجرى من طرز الملابس الشعبية الأوروبية وفى بعض القرى يستعرض الأهالى ملابسهم التقليدية أيام الآحاد وخلال مهرجان «بالوتس» أثناء عيد الفصح.

وأوبرا بودابيست بـدأ بناؤهـا عـام ١٨٧٥ وانتـهى عـام ١٨٨٤. وأشـهر مطربى الأوبرا المجريين يرتبطون بعقود للغناء فى أوبرا فيينا ومنـهم فرانـز إركل وجولد مارك.

وعلى واجهـة أوبـرا بودابيسـت وضـع تمثـالان أحدهمـا لفرانـز ليسـت والثانى لفرانز إركل.

وعلى بعـد أمتـار منـها توجـد أكاديميـة ليسـت للموسـيقى وتقـام فيـها العروض الموسيقية الرفيعة.

وعلى بعد أمتار من أكاديميـة «ليسـت» يوجـد أكـبر مقـهى عـالمى وهـو المكان المفضل لأدباء المجر الكبار وقد تم افتتاحه عام ١٨٩٤.